مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

العلاقات المصرية ـ الإيرانية وبوادر العودة

يوسف خطاب
باحث أول
مركز الخليج للأبحاث

في ظل ما يشهده العالم حاليًا من تحولات سياسية كبرى، فرضتها الأزمات الدولية المتعاقبة، بدءً من ضعف النظام العالمي الراهن، ومرورًا بحرب أوكرانيا وروسيا؛ والأزمة بين الصين وأمريكا بسبب تايوان؛ وما كشفت عنه الحرب الإسرائيلية على غزة، من تحزبات غربية غير عادلة وغير واقعية؛ ونظرًا لما لكل من دولتي مصر وإيران من مكانة جيوستراتيجية وسياسية، لما يشكله ثقل كل منهما إقليميًا وعالميًا، وبخاصة في البعدين العربي والإسلامي، يصبح تصفير المشاكل والحد من الخلافات والعمل على تعزيز العلاقات، وتنسيق المواقف والسياسات تجاه القضايا الإقليمية ضرورة ملحة ومطلبًا هامًا؛ ففي توثيق علاقاتهما ما يسهم في منع مزيد من الاستقطابات التي قد تسهم في مزيد من أزمات المنطقة وتؤسس لصراعات مستقبلية تهدد مصالح دول الشرق الأوسط، وتؤثر سلبًا على أمنها واستقرارها.

ولا شك أن الاتصال الهاتفي الذي تم بين الرئيسين المصري والإيراني، عبد الفتاح السيسي وإبراهم رئيسي، في ٢٠٢٣/١٢/٢٣م، وفقًا لما نشره النائب السياسي لمكتب الرئيس الإيراني محمد جمشيدي على منصة «إكس»، تويتر سابقا، والمتحدث باسم الرئاسة المصرية، المستشار أحمد فهمي، على صفحته الرسمية على فيسبوك، سوف يسهم في تقارب دولتي مصر وإيران، وصولًا إلى إعادة العلاقات بينهما، بما يترتب على ذلك من تخفيف التوترات وإيجاد ضمانات أقوى لصالح استقرار دول المنطقة وشعوبها.

وتشير المباحثات الهاتفية بين رئيسي البلدين إلى بداية عهد جديد من العلاقات بينهم؛ فضلًا عما تضمنه الاتصال من تهنئة الرئيس الإيراني للرئيس المصري على ولايته الجديدة، ناقش الجانبان آخر التطورات في غزة، وأهمية الوحدة الإسلامية، واتفقا على اتخاذ خطوات ملموسة لتسوية القضايا بين البلدين نهائيًا. وقد ثمَّن الرئيس «هذه اللفتة المُقدرة» من الرئيس الإيراني، وفقًا للمتحدث باسم المصرية.

وتعد الجولة الحالية من محاولة تصفية الأجواء وإعادة العلاقات بين البلدين، استكمالًا لما بدأ من وساطة عمانية، في شهر مايو ٢٠٢٣م، حيث أعلن المرشد الإيراني (علي خامنئي) ـ أثناء زيارة السلطان العماني هيثم بن طارق الرسمية لإيران ـ عن ترحيبه باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر، ونقل عنه موقعه الرسمي قوله:» نرحب ببيان سلطان عمان حول استعداد مصر لاستئناف العلاقات مع إيران، وليس لدينا مشكلة في هذا الصدد»

وحرص البلدان منذ تولي الرئيس السيسي للحكم على التهدئة والحد من التصعيد والسعي إلى تحسين العلاقات. وما لبثت الأمور أن هدأت، حيث أرسل الرئيس السيسي دعوة إلى الرئيس الإيراني السابق (حسن روحاني)، لحضور حفل تنصيبه رئيسًا لمصر عام ٢٠١٤م، فأناب روحاني وزير خارجيته (حسين أمير عبداللهيان) لحضور حفل التنصيب.

وكان لتحسن العلاقات بين طهران وعواصم الخليج، الذي تجسد في زيارة أمير الكويت السابق الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لطهران، ولقائه المرشد الأعلى للثورة الإيرانية، ورئيس الجمهورية حسن روحاني، وعودة العلاقات السعودية / الإيرانية في مارس ٢٠٢٣م، دورًا في تلطيف الأجواء وتهدئتها بين مصر وإيران؛ خصوصًا وأن الرئيس السيسي قد ربط عودة العلاقات بين البلدين بعلاقة إيران مع دول الخليج

وقد أوضح الرئيس السيسي هذا الربط قبيل توليه الحكم ــ في لقاء خاص مع قناة (الحدث) في ٢١ مايو ٢٠١٤م، أن العلاقة مع إيران تمر عبر دول الخليج بقوله: « إيران تدرك أن العلاقة مع مصر تمر عبر الخليج العربي. الخليج أهلنا ويهمنا أن يعيش بسلام»؛ وأضاف: «كل ما نسعى إليه مع إيران هو علاقة عادلة؛ من حقنا تأمين مصالحنا، كما يحق لإيران القلق على مصالحها»

وعلى أساس من هذا التصريح، الذي أرضى دول الخليج ولم يسعدِ إيران؛ وظلت العلاقة بين البلدين نشطة في المستوى الاستخباراتي فقط للتنسيق في الملفات المرتبطة، مع اتفاق ضمني بعدم إضرار طرف بمصالح الطرف الآخر، وخصوصًا في الملفات المشتركة، مثل ملف اليمن، وملف فلسطين والتعامل مع فصائل المقاومة التي تدعمها طهران بالمال؛ وكذلك العراق حيث تعمل عدة شركات مصرية في مجال إعادة الإعمار في المناطق التي دمرتها الحرب مع داعش

وكان لسياسة عدم إضرار أي من البلدين بمصالح البلد الآخر على مدى السنوات الماضية، دورًا بارزًا تطوير العلاقات بينهما، والاقتراب من مرحلة إعادة العلاقات التي بدأت بوادرها تلوح في الأفق، وقد تجسدت هذه السياسة في تنشيط التبادل التجاري بين، حيث بلغت صادرات إيران إلى مصر في عامي ٢٠٢١ و٢٠٢٢م، (6,92) مليون دولار و (5,08) مليون دولار على التوالي، وبلغت صادرات مصر (994) ألف دولار و(1,42) مليون دولار على التوالي

ولا شك أن إعادة العلاقات ستحقق لكلا البلدين العديد من المكاسب؛ وخصوصًا في مجال التوازن الاستراتيجي مع القوى الإقليمية المركزية، كما سيفتح بابًا لتعاون مالي وتجاري واستثماري يساعد مصر على حلحلة أزمتها الاقتصادية؛ فيما سيسهم في إخراج إيران من عزلتها الإقليمية والدولية؛ وسيضعف من تأثير العقوبات الأمريكية والدولية عليها؛ فضلًا عن أنه سيقلل من قلق إيران تجاه اتفاقات السلام بين الدول العربية وإسرائيل، ويجعلها تعيد جدولة سياساتها الخارجية في المنطقة

كما أن انشغال الولايات المتحدة والدول الأوروبية بالحرب الروسية ــ الأوكرانية وتبعاتها، والحرب في غزة وما أدت إليه من تهديد للملاحة من قبل الحوثيين، سيجعل معارضتها لعودة العلاقات أقل حدة، بل قد لا تعارض أصلًا، بالنظر إلى أن عودة العلاقات قد تسهم في إقناع إيران للحوثيين بوقف عملياتهم في البحر الأحمر، والتي تؤثر سلبًا على قناة السويس، التي تعد مصدرًا رئيسًا من مصادر الدخل القومي المصري.

وتُعَدُّ الظروف الحالية ــ الداخلية، والإقليمية، والدولية ــ فرصة مواتية لإعادة العلاقات بين البلدين؛ فالأزمة الاقتصادية التي تعيشها كلتا الدولتين تفرض عليهما التعاون في كل المجالات للتخفيف من آثارها السلبية؛ والأوضاع الإقليمية بعد عودة العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية، أصبحت عاملًا مشجعًا لمصر على إعادة العلاقات؛ والتوتر الذي تعيشه المنطقة بسبب الحرب على غزة، يتطلب تقريب وجهات نظر القوى الإقليمية لاجتياز الأزمة الحالية بأقل الخسائر المتوقعة

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net